دلالـــة الاشتـــراك فـــي القـــرآن الكـــريم

د. آمـــال الصـــادق البشـــتي*
قســـم الدراســـات الإســـلاميـــة، كليـــة التربيـــة، جامعـــة الزاويـــة، ليبيا
البريد الإلكتروني: a.elbeshti@zu.edu.ly
تاريخ الاستلام 20 / 3 / 2025م تاريخ القبول 17 / 8 / 2025م

The Significance of Lexical Ambiguity in the Holy Quran

Dr. Amal Al-Sadiq Al-Bashti*
Department of Islamic Studies, Faculty of Education, University of Zawiya, Libya

Abstract
This study examines the impact of lexical ambiguity on the meanings of the Holy Quran. Lexical ambiguity refers to a single word that shares the same form or pronunciation but has different meanings. The research poses the question: What is the impact of lexical ambiguity on the meanings of the Holy Quran?
Definitions: Linguistically, lexical ambiguity means mixing, comparison, and sharing in expression among multiple meanings. Technically, it is a word that has the same form but different meanings. Definitions have been provided by Ibn Faris, Ibn Taymiyyah, Al-Jurjani, Al-Suyuti, and others. The majority of linguists and Quranic commentators acknowledge the existence of lexical ambiguity as a necessary linguistic phenomenon, including Al-Khalil, Sibawayh, Ibn Jinni, Ibn Faris, and others. Some, like Ibn Durustawayh, denied its existence, but even those who denied it acknowledged its rarity. Homonymy has several types:
1 .Absolute homonymy: A word is used for all its possible meanings, as combining them is not prohibited.
2 .Antonymy: A single word is used for two contradictory meanings, for example, "menstruation" and "purity."
3. The Interplay Between Literal and Figurative Meaning: A single word can encompass both its literal and figurative meanings, depending on the context.
Examples from the Quran: In nouns: For example, “ahl” (family/people) appears with multiple meanings (inhabitants, wealth, clan, people, etc.). In verbs: such as “hayat” (life) with multiple meanings: the blowing of the soul, survival, guidance, life of the earth, resurrection of the dead. In prepositions: such as “ila” (to) with different meanings: with, kinship,

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

arrival, connection. In adverbs: such as “asfal” (lowest) with meanings: lowest, loss, most decrepit age.
Semantic Impact: Homonymy adds linguistic breadth to Quranic expression and allows the interpreter to propose multiple possible meanings. However, its interpretation requires linguistic and contextual clues to determine which meanings are intended or to combine them. Among the most important conclusions reached are:
1 .The existence of homonymy in the Arabic language and the Quran is a constant.
2 .Antonyms are considered a type of homonymy.
3. Metaphor requires the presence of linguistic and semantic evidence.
4 .A word with multiple meanings, in its context, carries a specific semantic meaning.
5 .Homonymy is a reason for differing interpretations among scholars.
6. It can be considered one aspect of the rhetorical miracle of the Quran, and requires further study to fully understand and convey it.
Keywords: lexical ambiguity; Holy Quran; semantics.

الملخّـــــص :

تناولـت هـذه الدراسـة :" أثـر المشـترك اللفظـي فـي بيـان معـاني القـرآن الكـريم". فالمشترك اللفظي يُعنى بلفظ واحد تتشابه فيه الصـيغة أو النطـق لكـن تختلـف دلالاتـه.
البحث يطرح السؤال: ما أثر المشترك اللفظي في بيان معاني القرآن الكريم؟
التعريفات: لغةً: المشترك يعني المخالطة والمقارنة والمشاركة في التعبيـر بـين معـانٍ متعددة. واصطلاحًا: هو ما اتفق لفظه واختلف معناه. وردت تعريفات عند ابن فارس، ابن تيمية، الجرجاني، السيوطي، وغيرها ، وجمهور اللغويين والمفسرين يقرّ بوجـود المشترك اللفظـي كظـاهرة لغويـة ضـرورية، منهـا الخليـل، سـيبويه، ابـن جنـي، ابـن فارس، وغيرهم. وبعضهم أنكر وجوده، كابن درستويه، لكن حتى مـن أنكـره اعتـرف بأنه نادر الحدوث. والمشترك اللفظي أنواع :
1. الاشتراك المطلق: اللفظ يُستخدم لجميع معانيه المحتملة إذا لا يمنع الجمع بينها.
2. الأضداد: اللفظ الواحد يستخدم لمعنيين متضادّين، مثلاً “حيض وطهر”.
3. الاشـتراك بـين الحقيقـة والمجـاز: اللفـظ الواحـد يشـتمل علـى المعنـى الحقيقـي والمجازي معًا، بحسب السياق.
نماذج من القرآن: فـي الأسـماء: مـثلاً “الأهل” وردت بمعـانٍ عديـدة (سـكان، مـال، عشيرة، القوم...) وفي الأفعال: مثل “الحيـاة” بمعـاني متعـددة: نفـخ الـروح، البقـاء،

الهدى، حياة الأرض، إحياء الموتى. و في الحروف: مثل "إلى" بمعانٍ مختلفة: بمعنى مع، قرابة، وصول، صلة. وفي الظروف: مثل "الأسفل" بمعاني: أدنى، خسران، أرذل العمر.

الأثر الدلالي: المشترك اللفظي يُضفي اتساعًا لغويًا على التعبير القرآني، ويتيح للمفسّر أن يطرح معانٍ متعددة محتملة. لكن تفسيره يتطلب قرائن لفظية ومعنوية لتحديد أي : المعاني المقصودة أو الجمع بينها. ومن أهم النتائج التي توصل إليها :

1. وجود المشترك اللفظي في اللغة والقرآن أمر ثابت.
2. الأضداد تُعدّ من أنواع المشترك اللفظي.
3. المجاز مشروط به توافر القرائن اللغوية والمعنوية.
4. اللفظة المشتركة، في سياقها، تحمل معنى دلالي خاصًا.
5. المشترك اللفظي سبب في اختلاف العلماء في التفسير.
6. يمكن اعتباره أحد وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن، ويحتاج إلى دراسات إضافية لتحقيقه وتبليغه.

الكلمات المفتاحية:

المشترك اللفظي؛ القرآن الكريم؛ المعاني.

المقدمـــــــــة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين وبعد :

اللفظ والمعنى –في اللغة العربية- قضيتان خاضت القول فيهما حقول معرفية متعددة ، وأنتجت مباحث كثيرة تعرضت لجوانبها النظرية وتطبيقاتها في الشعر والخطابة والأمثال و البلاغة ، وكان المدار الأوسع الذي شمل بحث هذه المسألة متمثلاً في النماذج القرآنية المنتخبة التي أُستعمِلت فيها الألفاظ للدلالة على معانٍ أوسع مما وضعت له ، فأضحت تحمل غير معناها في نصوص تطرد في القرآن الكريم ، وفي الشعر العربي اطراداً تبدو فيه أكثر من أن يحاط بها وذلك لتوزعها على أبواب لغوية ونحوية و بلاغية و فقهية . ويبدو أن المشترك اللفظي من أبين مظاهر قضية المعنى –التي اعتنى بها المفسرون والنحاة و البلاغيون- ظهوراً في التراث العربي، وإذ يمثل الاشتراك ظاهرة عامة في اللغات الطبيعية وأساساً يكاد ضرورة في اشتغالها ، كان مجالاً مهماً في اهتمامات اللغويين قديماً وحديثاً ، ولربما كان سر هذا الاهتمام هو بيان سبل التوسع في المعاني ودلالاتها ، والوقوف على أسرار بلاغة المفردة ودلائل

إعجازها التي كانت بالنظم مرة ، وبالسياق مرة ثانية ، وببحث العلاقات الرابطة بين المعاني و الألفاظ مرة ثالثةً .

مشكلة البحث :

تتمحور مشكلة البحث في التساؤل الرئيسِ التالي :

ما أثر المشترك اللفظي في بيان معاني القرآن الكريم ؟

تعريف المشترك اللفظي:

يفرق علماء اللغة المعاصرين من حيث المفهوم بين الاشتراك اللفظي والمشترك اللفظي فالمشترك هو وجود كلمات منحدرة من أصول مختلفة وذات مدلولات مختلفة، لكنها متقاربة أو متطابقة من حيث الصيغة أو النطق فقط، بينما يعني مصطلح الاشتراك اللفظي وجود كلمة منحدرة من أصل واحد لها أكثر من مدلول. وعلى الرغم من وجود هذا الفرق إلا أنّه ما يزال هناك تداخلاً ملحوظاً بينهما .

تعريف المشترك اللفظي لغةً:" المشترك في اللغة يعني المخالطة والمقارنة ومنه قوله تعالى: (**وَأَشْرِكه فِي أَمْرِى**)[32/ طـه]. ويقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، ومنه: فريضة مشتركة: يستوي فيها المقتسمون وطريق مشترك يستوي فيه الناس، واسم مشترك تشترك فيه معان كثيرة»(1) ، وجاء عند ابن فارس (ت 395هـ): " الشين والراء والكاف أصلان أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد. والآخر : يدل على امتداد واستقامة. فالأول: الشركة: وهو أن يكون الشيء بين اثنين ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانا في الشيء، أو صرت شريكه، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك»(2)

ـ ونستنتج من خلال التعريفات السابقة أن لفظة المشترك في اللغة تدور في فلك: المخالطة والامتداد والاستقامة.

تعريف المشترك اللفظي اصطلاحاً: عرف تعريفاتٍ عدة يمكن القول بأنها قريبة من بعضها :

- عرفه ابن فارس (ت 395هـ) تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو : (عين الماء) و (عين المال) و (عين السحاب)(3)، وعرفه ابن تيمية (ت 726هـ) بقوله :" أن يكون اللفظ دالا على معنيين من غير أن يدل على معنى مشترك بينهما(4) ". وجاء عند الشريف الجرجاني (ت 816هـ) قوله: المشترك ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير(5) ، وقال السيوطي (ت 911هـ) بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة(6)

- ويمكن أن يعرف تعريفاً مختصراً فيقال : هو ما اتحد لفظه واختلف معناه.

موقف العلماء من المشترك اللفظي:

اختلف العلماء في إثبات هذه الظاهرة، فأثبتها قوم وهم جمهور أهل العلم منهم الخليل بن أحمد، وسيبويه، والأصمعي وأبو عبيدة، وابن فارس، وابن جني، والثعالبي، والمبرد وابن خالويه وكراع النمل، وأبو علي الفارسي وابن تيمية، والآمدي، والسيوطي ونسبه إلى الأكثرين(7) ، وقالوا: بأن المشترك ضرورة لغوية لا غنى عنها لمستعملي اللغة، وإن كان على خلاف الأصل؛ لأن : "الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني، لكن ذلك لم يكن في الإمكان إذا كانت المعاني بلا نهاية، والألفاظ مع اختلاف تركيبها ذات نهاية ،وغير المتناهي لا يحويه المتناهي، فلم يكن بد من وقوع الاشتراك في الألفاظ)(8) ' وخالفهم ابن درستويه فأنكر وجود المشترك اللغوي؛ لأنه:" لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانه، بل تعميه و تغطيه (9) ' يعود ابن درستويه إلى جواز وقوع المشترك فيقول : " ولكن يجيء الشيء النادر من هذا لعلل(10) ، فإذا تقرر هذا، علم يقيناً أن هذا الخلاف لا طائل من ورائه؛ إذ إن الكل متفقون على أنه وجدت في اللغة ألفاظ قد استعملها العرب في الدلالة على معان مختلفة، بغض النظر عن سبب ذلك الاستعمال، وهذا كاف في إثبات المشترك، ولذا يرى بعض المحدثين أن من التعسف إنكار المشترك في العربية، وهو:" الذي عليه أكثر الرعيل الأول... فقد أثبتوه وتوسعوا فيه مستندين إلى الشواهد العربية التي لا سبيل إلى الشك فيها "(11)، ومما يؤكد أن: " المشترك واقع ملموس، وحقيقة لا خيال وكثير لا قليل"(12)

أنواع المشترك اللفظي:

1- الاشتراك المطلق : يقصد بالاشتراك المطلق استعمال اللفظ المشترك في جميع معانيه(13) ، وهذا جائز(14)، إذا لم يمتنع الجمع بين مدلولات هذه المعاني؛ إذ إن جميع المعاني المحتملة للقرآن الكريم مراده في مذهب جمهور العلماء كما نسبه الشوكاني(15) ، وقال ابن تيمية -رحمه الله -: "ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين؛ إما لكونه مشتركاً، كلفظ **(فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)** [المدثر / 51]، الذي يراد به الرامي ،ويراد به الأسد، ولفظ (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) [التكوير/ 17] الذي يراد به إقبال الليل، وإدباره. وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشيئين، كالضمائر في قوله: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) [النجم/8]، وكلفظ: **(وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)** [الفجر/ 1-3]، وما أشبه ذلك، فمثل هذا قد يجوز أن يُراد به كل

المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك، فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه؛ إذ قد جوّز ذلك أكثر الفقهاء: المالكية، والشافعية والحنبلية، وكثير من أهل الكلام....(16) "، وقال الشريف المرتضى في أماليه " الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني، فيجوز أن يكون قد أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً، وليس عليه العلم بمراده بعينه؛ فإن مراده مغيب عنه، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام(17) " .

ولكون المشترك اللفظي وسيلة من وسائل التوسع في التعبير عن المعنى عند المفسرين، فنلاحظ استعمالاتهم للفظ المشترك في معانيه ظاهرا عندهم ومتكرراً، ما دامت القرينة لم تمنع من إطلاقه وتوجب تقييده بأحد معانيه.

يقول ابن جرير الطبري في سياق تفسيره لحروف المعجم التي في فواتح السور: " فإن قال قائل : فكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملاً الدلالة على معان كثيرة مختلفة؟ قيل: كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، كقولهم للجماعة من الناس أمة، وللحين من الزمان أمة، وللرجل المتعبد المطيع لله أمة، وللدين والملة ،أمة وكقولهم للجزاء والقصاص ،دين، وللسلطان والطاعة دين، وللتذلل دين، وللحساب دين في أشباه لذلك كثيرة يطول الكتاب بإحصائها، مما يكون من الكلام بلفظ واحد وهو مشتمل على معان كثيرة "(18)

ومما يدل على استعمال الطبري -رحمه الله - لهذه الظاهرة في تفسيره ما جاء في سياق تفسيره لقوله تعالى: (**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**) [التوبة/ 10]. حيث ذكر أن (الإل) تطلق على الله -سبحانه وتعالى- كما تطلق على القرابة، وكذلك تطلق على الحِلْف والعهد بين القوم، ثم يعلق - رحمه الله - بجواز أن يكون ذلك كله مراداً فيقول : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحُرُم وحصرهم، والقعود لهم على كل مرصد- أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم (إلا) والإل: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد والعقد، والحِلفُ والقرابة، وهو أيضاً بمعنى الله، فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصَّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يَعُم ذلك، كما عم بها - جلَّ ثناؤُه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة ، ولا عهداً، ولا ميثاقاً"(19)

كما استعمل الطبري رحمه الله - اللفظ المشترك فـي معانيـه فـي تعليقـه علـى قـول الله تعالى: (**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**) [النحل / 72]، فالحفدة تطلق على الخدم والأعوان، وتطلق على بني المرأة من غير زوجها، كما تطلق على الأصهار، وتطلق أيضاً على أبناء الأبناء فيقول الطبري معلقاً على ذلك بعد أن ذكر خلاف أهل التأويل في المعنى المراد "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله -تعالى ذكره - أخبر عباده مُعرِفَهم نعمه عليهم فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى ذكره: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)، فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ... وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا، من أنهم المسرعون في خدمة الرجل المتحففون فيها، وكان الله - تعالى ذكره- أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفدُ لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا، وخدمنا من مماليكنا، إذ كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله - تعالى ذكره- دل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا بحجة عقل، على أنه عنى بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما أجمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم" (20) .

وعلى غرار صنيع الطبري هذا سار أكثر المفسرين في استعمال المشترك اللفظي في القرآن الكريم في جميع معانيه وتصويغهم لذلك ، قال أبو إسحاق الزجاج عند تعرضه لبيان معنى قول الله تعالى: (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) [الرحمن/ 6] .

قال أهل اللغة وأكثر أهل التفسير: "النجم كل ما نبت على وجه الأرض مما ليس له ساق والشجر كل ما له ساق، وقد قيل: إن النجم أيضاً يراد به النجوم وهذا جائز أن يكون؛ لأن الله -عز وجل- قد أعلمنا أن النجم يسجد فقال: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [النحل/ 49] .

ويجوز أن يكون النجم هاهنا يعني ما نبت على وجه الأرض، وما طلع من نجوم السماء، يقال لكل ما طلع قد نجم "(21)

ومن الواضح هنا أن أبا إسحاق يجيز أن تكون لفظة "النجم" من المشترك اللفظي الذي استعمل في معانيه؛ فهي كلمة صالحة لأن تعم ما قيل في تفسيرها ولكل وجه مخرج في الصحة غير مدفوع.

وقـال الطّـاهر ابـن عاشـور: "فأحسـن مـا تفسـر بـه قـول الله – تعـالى- : (**اللَّهُ نُـورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَـا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِـي زُجَاجَـةٍ الزُّجَاجَـةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَـجَرَةٍ مُبَارَكَـةٍ زَيْتُونَـةٍ لَا شَـرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّـةٍ يَكَـادُ زَيْتُهَـا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُـورٌ عَلَـى نُـورٍ يَهْـدِي اللَّهُ لِنُـورِهِ مَـنْ يَشَـاءُ وَيَضْـرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [النور/ 35] ، أن الله موجد كل ما يُعبّر عنه بـالنور، وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بهـا حسن العاقبة في العالمين العلوي والسفلي، وهو من استعمال المشترك في معانيه. (22)

وقد لاحظ الألوسي هذه الظاهرة عند تفسيره لقوله تعالى: (**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَـلَوَاتٌ مِـنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَـدُونَ**)[البقرة/ 157]، حيث ذكر أن الصـلاة مـن الله تـأتي بمعنى: الرحمة وبمعنى الثناء والتعظيم، وكذلك تأتي بمعنى: الاعتناء بالشأن. ثم قال:" ومعناها الذي يناسب أن يُراد هنا سـواء كـان حقيقيـاً أم مجازيـاً: الثنـاء والمغفـرة؛ لأن إرادة الرحمة يستلزم التكرار. وحملها على التعظـيم والاعتنـاء بالشـأن يأباهمـا صـيغة الجمع، ثم إن جوزنا إرادة المعنيـين بتجـويز عمـوم المشـترك، أو الجمـع بـين الحقيقـة والمجاز، أو بين المعنيـين المجـازيين، يمكـن إرادة المعنيـين المـذكورين كليهمـا، وإلا فالمراد أحدهما" (23)

وبعد هذا العرض السريع نستطيع القول بأن إعمـال المشـترك اللفظـي فـي جميـع معانيه - إذا لم يكن ممتنع الجمع بين مدلولات تلك المعاني- ظـاهرة منهجيـة يصـادفها القارئ في جلّ كتب التفسير وإن سُمي بغير اسـمه كمـا يطلـق عليـه بعـض المفسـرين المحتملات اللغوية.

2- الأضـــــداد

التضـــــاد: هو أن يطلق اللفظ الواحد على معنيين أحـدهما نقـيض الآخـر(24).وهـو نوع من أنواع المشترك اللفظي ؛ قال قطرب :"الوجه الثالـث أن يتفـق اللفـظ ويختلـف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصـاعداً .... ومـن هـذا : اللفـظ الواحـد الـذي يجيء على معنيين فصاعداً، ما يكون متضاداً في الشيء وضده" (25)

وقال السيوطي: "هو نوع من المشترك قال أهل الأصول: مفهوم اللفظ المشترك إما أن يتباينا بأن لا يمكـن اجتماعهمـا فـي الصـدق علـى شـيء واحـد كـالحيض والطهـر، فإنهما مدلولا القرء أو يتواصـلا" (26) ، ولـورود ظـاهرة التضـاد فـي القرآن الكـريم اعتنى به علماء اللغة والتفسير؛ قال أبو حاتم السجستاني فـي مقدمـة كتابـه الأضـداد:" حملنا على تأليفه أنا وجدنا الأضداد في كلامهم والمقلـوب شـيئاً كثيـراً، فأوضحنـا مـا

حضـر منـه إذ كـان يجيء في القرآن "الظن" يقينا وشكا، و"الرجـاء" خوفـاً وطمعـاً، وهو مشهور في كلام العرب.. فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغـات العـرب أن الله عز وجل حين قال: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)** [البقرة/ 45، 46]، مدح الشـاكين في لقاء ربهم، وإنما المعنى يستيقنون، وكذلك في صفة من أوتي كتابه بيمينه من أهل الجنة: **(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ)** [الحاقة/19] يريد إنـي أيقنت ولو كان شاكاً لم يكن مؤمناً، وأما قوله: **(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ)** [الجاثية / 32]، فهؤلاء شكاك كفار(27) ... "

ولما كانت ظاهرة التضاد قد تثير بعض الإشكالات خاصة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم اهتم بها القدماء من لغويين ومفسرين؛ لأن لهذه الألفاظ من الأهمية والخطورة ما ليس لغيرها من الألفاظ في فهم المعنى غير أنه من الملاحظ على أكثر الألفاظ المتضادة التي وردت في القرآن الكريم أنها وردت بمعنى واحد في الغالب، لأن القرآن الكريم استعملها في إحدى دلالتيها دون الأخرى.

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم فُسرت تلك الألفاظ بالوجهين المتضادين معاً، نحو اختلاف المفسرين في المراد بلفظ "القروء "(28) في قوله تعالى: **(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)** [البقرة/ 228] فذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالقروء الحيض، وذهب آخرون إلى أن المراد بالقروء: الطهر.

ونحو اختلافهم في لفظ " سُجّرتْ"(29) . من قوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) [التكوير/ 6] ، حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بـ "سجرت": ملئت وفاضت وذهب آخرون إلى أن المعنى يبست وذهب ماؤها، وقيل: غلت واشتدت فكل مفسر يحاول أن يلتمس قرينة يترجح بها أحد الأقوال المقولة في تفسير الآية؛ "لأن المشترك لا يدل على أحد معنييه أو معانيه إلا إذا كان مصحوباً بقرينة تبينه سواء كانت القرينة لفظية أو حالية"(30) ، قال الطاهر ابن عاشور: وهو يقرر أن الدلوك في قوله تعالى: (**أقم الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)** [الإسراء/ 78] ، ورد بمعنيين : فورد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسيرها اليومي، وورد بمعنى ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس، وهو وقت العصر، وورد بمعنى غروبها.. فالدلوك ثلاثة أوقات باستعمال المشترك في معانيه، والقرينة واضحة(31) .

وواضح في ضوء ما تقدم أن اللفظة القرآنية إذا كانت تحتمل وجوهاً متعددة مما هو من قبيل الاشتراك، فليس جائزاً تعديتُها إلى أحد هذه الوجوه من غير دليل؛ ولذا قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- :" والكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرفُ معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة يجب التسليم لها"(32) ، وقال في موضع آخر: " وغير جائز لأحد نقل الكلمة التي هي الأغلب في استعمال العرب عن معنى إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها "(33) . وهذا السلوك المنهجي ظاهرة مطردة تصادف المطالع لكتب التفسير. كل مفسر بحسبه فيما يؤديه إليه اجتهاده في فهم تلك الدلائل والقرائن .

3- الاشتراك بين الحقيقة والمجاز

لا شك أن من مظاهر تعـــدد المعنى مع اتحاد اللفظ باب (الحقيقة والمجاز) ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه - تجوّزا- الاشتراك بين الحقيقة والمجاز، والحقيقة هي : اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب (34)

والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح يقع به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادة المعنى الأصلي(35) .

ولقد كان المفســـرون على وعي بهذا الاشتراك؛ إذ التجوز باللفظ من الحقيقة إلى المجاز جائز ما كانت القرائن اللفظية والمعنوية التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي قائمة. يقول ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله – تعالى- : (**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**) [النساء/ 37] موجهاً معنى البخل في الآية إلى أنه بخل في العلم دون البخل في الأموال؛ إذ البخل كان مذموماً عند العرب، وعند جميع الأمم، ولم يكن هناك من يقره قبل الإسلام تديناً ولا تخلقاً "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما قاله الذين قالوا إن الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآية بالبخل، بتعريف من جهل أمر محمد صلى الله عليه وسلم، أنه حق، وأن محمداً نبي مبعوث ، وغير ذلك من الحق الذي كان الله تعالى ذكره - قد بينه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه، فبخل بتبيينه للناس هؤلاء، وأمروا من كانت حاله حالهم في معرفتهم به أن يكتموه من جهل ذلك، ولا يبينوه للناس؛ وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن الله - جل ثناؤه- وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل، ولم يبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمر الناس بالبخل ديانة ولا تخلقاً، بل ترى ذلك قبيحاً، ويُذَمُّ فاعله، ولا يمتدح وإن هي تخلقت بالبخل

واستعملته في أنفسها، فالسخاء والجود تعده من مكارم الأفعال، وتحث عليه؛ ولذلك قلنا إن بخلهم الذي وصفهم الله به، إنما كان بخلاً بالعلم الذي كان الله آتاهموه..."(36) .

ويقول أبو المظفر السمعاني في بيان وجه وصف قوم موسى عليه الصلاة والسلام له بأنه ، ساحر، وطلبهم منه أن يدعو لهم ربه في قوله تعالى: **(وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ)** [الزخرف/ 49] : "فإن قيل كيف قالوا :يا أيها الساحر ، ثم قالوا : إننا لمهتدون بك، ولا يهتدي أحد بالساحر ؟ والجواب: أن الساحر عندهم هو العالم. ومعنى قوله: (يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) أي : أيها العالم(37)' فوجه معنى السحر إلى غير المعنى المذموم الذي أصبح معروفاً عند المسلمين؛ وهذا ما تعارف عليه العرب قبل الإسلام، والله تعالى خاطب العرب بنظير ما يتعارفونه في كلامهم ويستعملونه في خطابهم.

ويقول ابن جرير الطبري في بيان وجه التعبير بالقرض عن العمل الصالح الذي يقوم به المسلم في الدنيا احتساباً للأجر في الآخرة، وذلك في سياق تفسير قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)** [البقرة/ 243] ، : "وإنما سماه الله - تعالى ذكره - قرضاً؛ لأن معنى القرض إعطاء الرجل غيره ماله مملكا له ليقضيه مثله إذا اقتضاه، فلما كان إعطاء من أعطى من أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة، سمّاه قرضاً؛ إذ كان معنى القرض في لغة العرب ما وصفنا (38)

إذا تقرر هذا فإنه يشترط لقبول ظاهرة الاشتراك المجازي وجوب موافقة المعنى المجازي للمعنى الظاهر من السياق ما لم يتعارض مع الروايات النقلية(39) الواردة في موضوع الآية القرآنية المفسرة التي تثبت المعنى الحقيقي للفظة المفسرة .

ولاشك أن الرجوع في الكلام الوارد عن الحقيقة والظاهر المعهود إلى المجاز إنما يكون بعد أربع مقدمات:

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة، وصحة ذلك.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه، وإلا كان مفترياً على اللغة.

الثالث: الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.

الرابع: أن تكون القرينة صالحةً لنقلها عن حقيقتها إلى مجازها(40).

نماذج مختارة من المشترك اللفظي في القرآن الكريم

في الأسماء :

الأهـــــــــــل : جاء في لسان العرب مادة (أهل): أهل :الأهل: أهل الرجل وأهل الدار وكذلك الأهلية، وعن ابن سيدة أهل الرجل عشيرته وذو قرباه، والجمع أهلون وأهال وأهلات(41) ، والأهل في نص التنزيل ورد على عشرة أوجه :

الوجه الأول : بمعنى سكان القرى في قوله: (**أَفَأَمِنَ أَهْـلُ الْقُرَى**)[الأعراف /97].

الوجه الثاني: بمعنى قراء التوراة والانجيل: (يا أهل الكتاب).

الوجه الثالث: بمعنى أصحاب الأموال وأرباب الأملاك، في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَنتَتِ إِلَى أَهْلِهَا) [النساء /58] أي أربابها.

الوجه الرابع: بمعنى العيال والأولاد: (وَسَارَ بِأَهْلِهِ)[القصص /29] أي بزوجه وولده.

الوجه الخامس: بمعنى القوم، وذوي القرابة: (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا) [النساء /35].

الوجه السادس ــ بمعنى : المختار، والخليق، والجدير: (**كَانُواْ أَحَقّ بِهَا وَأَهْلَهَا**) [الفتح /26].

الوجه السابع: بمعنى الأمة، وأهل الملة في قوله: (**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوَةِ وَالزَّكَوةِ**)[مريم/55].

الوجه الثامن: المستوجب المستحق للشيء: (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) [المدثر /56].

الوجه التاسع: بمعنى العشيرة والأولاد والأحفاد ،والأزواج والذريات وذلك في قوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه /132].

ومثلهما في الأحزاب: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**) [33].

الوجه العاشر : بمعنى الأولاد، وأولاد أولاد الخليل: (رَحمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) [هود /73] (42)

فالأهل تحمل معان مختلفة هي: سكان القرى، قراء التوراة والانجيل ، أصحاب الأموال وأرباب الأموال، العيال والأولاد، القوم، المختار والخليق والجدير، الأم وأهل الملة المستوجب المستحق للشيء، العشيرة، أولاد أولاد الخليل.

في الأفعال:

الحيـــــاة: ورد في لسان العرب: (الحياة معنى يفيد الحيوان الحسن والتحرك).(43) وجاء في الصحاح: (الحياة ضدّ الموت، والحي ضد الميت والمحيا مفعل من الحياة: تقول محياي ومماتي)(44) ، ووردت في القرآن الكريم بمعنى خمسة أوجه:

الوجه الأول: نفخ الروح في الحيوان بالخلق الأول، ومنه قوله تعالى: في سورة البقرة: (**وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**)[البقرة /28] أي: نطق فنفخ فيها الروح وفي آل عمران: (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) [آل عمران /27] ، وفي الحج : (**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ**)[الحج /66] وفي حم المؤمن: (**وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**) [غافر /11] وفي الجاثية: (**قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ**) [الجاثية /26].

الوجه الثانـــي : بمعنى إحياء الموتى بعد خروج الأرواح منهم، ومنه قوله تعالى في آل عمران: (وَأُحِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) [آل عمران /49] وفي القيامة: (**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحِيَ الْمَوْتَى**) [القيامة /40].

الوجه الثالث: الهدى ومنه قوله تعالى في الأنعام: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) [الأنعام /122] وفي يس: (لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا)[يس /70]، وفي سورة الملائمة: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الأموات) [فاطر/22].

الوجه الرابع : بمعنى البقاء ومنه قوله- تعالى - في البقرة: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ) [البقرة /179] وفي المائدة: (**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**) [المائدة /32].

الوجه الخامس: حياة الأرض بالنبات، ومنه قوله - تعالى - في فاطر: (**فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ**)[فاطر/9].(45)

الحياة تحمل معان مختلفة هي: نفخ الروح في الحيوان بالخلق الأول، إحياء الموتى بعد خروج الأرواح منها، الهدى، البقاء، حياة الأرض بالنبات.

في الحروف:

إلـــــــى : حرف من حروف الجر التي تدل على انتهاء الغاية وفي هذا الصدد يقول صاحب (شرح المفصل): أعلم أن "إلى" تدل على انتهاء الغاية كما دلت "من" على ابتدائها فهي نقيضه(46) ووردت في القرآن الكريم ثلاثة وجوه :

الوجه الأول: إلى، يعني (مع) فذلك في قوله تعالى في النساء: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) [2] يعني: مع أموالكم وقال في طسم: (فَأَرْسِلَ إِلَى هَرُونَ) [الشعراء /13] يعني مع هارون، وقال في آل عمران، قول عيسى عليه السلام: (مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ) [52] يعني مع الله، مثلها في الصف الآية 14.

الوجه الثاني: إلى هاهنا، صلة في الكلام، فذلك قوله في الأنعام: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ) [12] يعني ليوم القيامة، وللألف ها هنا صلة وقال في الجاثية: (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [26] يعني: ليوم القيامة.

الوجه الثالث: إلى تفسيره: قرابة، فذلك قوله: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) [نوح /1] يقول: أرسلناه إليهم، وقال: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) [هود 50] ويقول أيضا: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صالحاً) [هود /61]، ويقول: أرسلناه إليهم، ونحوه كثير (47)
إلى تحمل معان مختلفة هي : مع ، صلة في الكلام، قرابة.

في الظروف:

الأســـــــفل: جاء في لسان العرب : السُفل والسفل والسُّفول والسَّفالة بالضمّ نقيض العُلو والعِلْوِ والعُلَو والعُلُو والعلاء والعلاوة والسفلى نقيض العليا والأسفل : ما انحط عن رتبة الأعلى والسُّفل: ما مالت إليه الأجسام الثقيلة بالطبع.(48) ' وورد في نص التنزيل على ثلاثة أوجـــه:

الوجه الأول : بمعنى أدْون، في مقابل الفوق، وذلك قوله – تعالى- : (**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**)[الأحزاب /10]، وقال – أيضا- : (**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**) [الأنفال /42] أي : عم في مهبط الوادي، وقوله - تعالى - في سورة النساء: (**إِنَّ المنفِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**) [145] أي : الانحطاط في المكان.

الوجه الثاني: الخسران في الأمر: ومنه قوله تعالى في الصافات: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) [98] أي الأخسرين في العقوبة.

الوجه الثالث : بلوغ أرذل العمر، ومنه قوله تعالى في سورة التين: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفِلِينَ)[5] أي أرذل الأرذلين(49) الأسفل تحمل معان مختلفة هي: أدون، الخسران في الأمر، بلوغ أرذل العمر.

الأثر الدلالـــــي للمشترك اللفظي

لاشك أن للمشترك اللفظي أثره الدلالي في تفسير القرآن الكريم، فكما أن التعبير عن المعنى المراد يتسع من طريق الاشتراك، فإنه يثير قضايا دلالية مرتبطة في عمومها بظواهر لغوية تناسب ظروف الاستعمال، وطبيعة العلاقة بين المعنيين الداخلين في مفهوم الاشتراك وقضية الغموض والوضوح، والدور الذي يجب أن يكون للكلمة الواحدة في سياق معين.

والتعبير القرآني كثيراً ما يختار مفردة معينة لها أكثر من دلالة واحدة، كلفظة "قسورة" في قوله - تعالى- : (**فَـــرَّتْ مِنْ قَسْوَرَة**)[المدثر/ 51]، فقد فسرت بأنها الرامي، أو الأسد، أو جماعة الرماة، أو أصوات الناس، أو ظلام الليل(50) ، وبهذا تتواشج هذه المعاني لترسم أبلغ صورة لهؤلاء الذين كانوا ينفرون من مجرد صوت القرآن كما تنفر الحمرُ من أي صوت تسمعه أو أي شخص تراه، أو حيوان تشاهده

خوفاً أن يفترسها، فالصفة الجامعة بينهما أن كلاً منهما ضعيف منهار أمام جبار قوي، مقدر أنه واقع لا محالة؛ لأن الصائد مما لا تمكن مقاومته؛ لأنه قسورة فالأسلم إذن الهزيمة والفرار(51) ،فكيف إذا أضيف إلى كل هذا أنها تعني ظلمة الليل، والصوت المزعج، حيث الخوف أكبر وأكبر وبهذا لا يزداد التصوير إلا تكثيفاً في الدلالة على مصدر الخوف.

وتمتد دلالة المشترك اللفظي إلى ما هو أوسع من مجرد اللفظ الواحد، بل قد يكون ناتجاً عن حذف الأداة، وتقديرها كيفما قدرت، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك قوله - تعالى- : (**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا**) [النساء: 127] ، إذ يجوز فيه معنى الإقبال، ومعنى الإعراض، على حسب تقدير الحرف" ترغبون في " و" وترغبون عن"؛ إذ نص الطاهر ابن عاشور على أن المعنيين مقصودان على حد استعمال المشترك في معنييه"(52) .

كما لاحظ الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**) [غافر: 60]. أن لفظ "ادعوني" يمكن أن يستوعب معنيين: الدعاء، وعبادة البدن فقال: " فالدعاء يطلق على سؤال العبد من الله حاجته، وهو ظاهر معناه في اللغة، ويطلق على عبادة الله على طريق الكناية؛ لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه والتضرع إليه وهذا إطلاق أقل شيوعاً من الأول.... فلما جمعت الآية بين الفعلين على تفاوت بين شيوع الإطلاق في كليهما علمنا أن في المعنى المراد ما يشبه الاحتباك بأن صرح بالمعنى المشهور في كلا الفعلين، ثم أعقب بقوله : (**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**)، فعلمنا أن المراد الدعاء والعبادة، وأن الاستجابة أريد بها قبول الدعاء وحصول أثر العبادة، ففعل "ادعوني" مستعمل في معنييه بطريقة عموم المشترك"(53) . كما أن الحروف المشتركة تستجمع معاني كثيرة يحددها السياق القرآني ولها أثرها الدلالي الواضح، كما تقدم في قوله تعالى: (**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ**) [آل عمران /52]فقد زاد اختيار الحرف (إلى) في الآية معنى جديداً زائداً على معناه الأصلي وهي نسبة النصرة وغايتها تكون من الجميع، تقوية لها، وإعلاءً لكلمة الله تعالى وهذا لا يؤديه معنى (مع)

وحده؛ هنا يظهر الدور الدلالي للمشترك اللفظي فـي تفسـير القـرآن الكـريم وآثـره فـي توسعة المعنى القرآني.

الخاتمـــــــــة:

من خلال دراسة موضوع (دلالة الاشـتراك فـي القـرآن الكـريم) فإننـا نخلـص إلـى النتائج التالية:

1- أن المشترك اللفظي موجود في اللغة والقرآن.

2- أن الألفاظ المتضادة نوع من المشترك اللفظي.

3- أن التجوز باللفظة القرآنية من الحقيقة إلى المجاز جـائز مـا كانـت القـرائن اللفظيـة والمعنوية التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي قائمة.

4- أن اللفظة المشتركة حقيقة أو مجازاً المستقلة بمفهومها الذاتي لها في السـياق معنـى دلالي يعبر عنه النظم والسياق.

5- أن المشترك اللفظي سبب من أسباب اختلاف العلماء من مفسرين وفقهاء وغيرهم.

6- أن المشترك اللفظي يندرج تحت الإعجاز بالفصاحة والبلاغة، واعتباره وجهـاً مـن وجوه إعجاز القرآن الكريم قائماً بذاته يحتاج إلى تحقيق وتدليل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلـى آله وصحبه أجمعين .

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تـؤثر علـى العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــش :

1-العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السمرائي، دار الرشد العراق، د ت، د ط، ج5، ص 293، مادة (ش ر ك).
2-مقاييس اللغة ،ابن فارس ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، 1979م، د ط، ج1، ص 649، مادة (ش ر ك).
3-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلاهما ، ابن فارس، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997 م، ط1، ص 105.
4-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، الكتب العلمية، بيروت، 1998 م، ط1، (1/370).
5-التعريفات دار الكتب العلمية ،الشريف الجرجاني، بيروت، لبنان، 1983 م، ط1، ص 201.
6-المزهر، السيوطي، (1/372).
7-انظر: العين: (5/293)، ومعجم مقاييس اللغة : (1/649)، والخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، (3/112)، و الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثانية (1402هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، (1/20)، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،نشر مكتبة ابن تيمية، مصر، (20/234)، والمزهر، (1/369)، و فصول في فقه العربية ، لرمضان عبد التواب، الطبعة الخامسة، (1418هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ص324.
8-مقدمة التفسير ، الراغب الأصفهاني ، الطبعة الأولى (1329هـ)، المطبعة الجمالية، مصر، ص395.
9-المزهر ، (1/385).
10-المصدر نفسه: (1/385).
11-الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، لمحمد حسين آل ياسين، الطبعة الأولى، (1980م)، مكتبة الحياة، بيروت، (417).
12-المشترك اللغوي، نظرية وتطبيقاً، التوفيق محمد شاهين، الطبعة الأولى، (1400هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة،ص 105.
13-انظر: أصول الفقه للشيخ محمد الخضري الطبعة الثانية مكتبة الرياض الحديثة: (1/46) .
14-انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة (1405هـ)، دار الفكر، بيروت، (25/216)، و اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، (1419هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت: (15/561).
15-انظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، الطبعة الأولى، (1412هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ،ص48.
16-مجموع الفتاوى،لإبن تيمية ، الطبعة الأولى ، (2006م) ، دار الوفاء ، (13/341).
17-أمالي المرتضى ، لعلي بن الحسين المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، (1/46).
18-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،لابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (1422هـ)، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية، القاهرة،(1/224).
19-المصدر السابق ، (11/358).
20-جامع البيان، (14/303).

21-معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، (1408هـ)، دار عالم الكتب، بيروت، (5/96).
22-التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور نشر دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، (18/233).
23-روح المعاني،للألوسي ، الطبعة الأولى ، 1415ه ،دار الكتب العلمية ، بيروت،(1/421).
24-انظر الأضداد، لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، (1960م) نشر: دائرة المطبوعات الكويت:ص1-5، الأضداد لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: محمد عودة أبو جري، الطبعة الأولى، (1414هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت ص79، والمزهر، (1/387).
25-الأضداد ، لقطرب، تحقيق : حنا حداد، الطبعة الأولى، (1405هـ)، دار العلوم، الرياض، ص70.
26-المزهر، (1/387).
27-الأضداد ،للأنباري ، ص72.
28-انظر: جامع البيان، (4/87)، و تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول والصحابة والتابعين ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق : أسعد محمد الطيب، الطبعة الثانية (1419هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة، (2/415)، و تفسير القرآن ،لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم ، وغنيم عباس غنيم، الطبعة الأولى (1416هـ)، دار الوطن، الرياض، (1/229)، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، (1413هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، (1/304).
29-انظر: تفسير القرآن العظيم ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الطبعة الأولى (1410هـ)، مكتبة الرشد، الرياض: (2/350)، وجامع البيان: (24/139)، و رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الرزاق الرسعني، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى، (1429هـ)، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، (8/504).
30-دراسة المعنى عند الأصوليين، لطاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، (1983م)، الإسكندرية، ص93.
31-التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ، (15/182).
32-جامع البيان، (1/329).
33-المصدر نفسه ، (1/329).
34-انظر: المعتمد في أصول الفقه، لمحمد بن علي الصبري، تحقيق: محمد حميد الله وآخرون، الطبعة الأولى (1964م)، دمشق، (1/16)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي، (1/28).
35-انظر : شرح السعد المسمى : " مختصر المعاني" ، لسعد الدين التفتازاني ، الطبعة الأولى، مكتبة محمد علي وأولاده، مصر ،ص169، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية ،ص304.
36-جامع البيان، (7/25).
37-وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الأولى، (1422هـ)، دار طيبة، الرياض، (7/230)، و تفسير القرآن العظيم ، لعلي بن محمد السخاوي ، تحقيق: موسى مسعود، وأشرف القصاص، الطبعة الأولى (1340هـ)، دار النشر للجامعات، القاهرة، (2/180).
38-جامع البيان ،(428/4).

39-المراد بذلك: الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضي الله عنه، أو عن كبار التابعين مما لا مجال فيه للرأي ولا للقياس.
40-انظر : بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: معروف مصطفى رزيق وآخرون، الطبعة الأولى (1414هـ) دار الخير، بيروت، (4/173) ، و الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تعليق عبد الله ،دراز، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، (3/99).
41-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (1/30)، مادة (أهل).
42-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، تح محمد علي النجار، القاهرة، 1996م،ط3، (2/84-85).
43-لسان العرب، ابن منظور، (4/218) مادة (حيا).
44-الصحاح في اللغة،للجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الرابعة ، (1987م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (6/287)، مادة (حيا).
45-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ،ابن الجوزي،تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، الطبعة الأولى ،(1984م)، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ص 252.
46-شرح المفصل، ابن يعيش، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،2001م ،بيروت ، ص463.
47-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ، (2019) ، مكتبة الرشد ، بغداد ، ص84-85.
48-لسان العرب، ابن منظور، ج 7، مادة (أسفل).
49-اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، محمد الدامغاني، تح عبد العزيز سيد الأحمل، دار العلم للملايين، بيروت، 1980 م، ط3، ص 239.
50-انظر جامع البيان (23/455)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (8/273)، و الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، (1424هـ)، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، (6/286).
51-انظر: التشبيهات القرآنية ،لإستشهاد أسامة حريري ، الطبعة الأولى ، (2009) ،ص 187.
52-التحرير والتنوير، (5/215).
53-المصدر نفسه، (24/182).